كيف الانتقال من انتفاضات الفجر الكاذب

إلى ثورات الفجر الصادق ؟

تمهيد

تجري في أيامنا هذه **انتفاضات** عربية على حكامها تمتد من المحيط الأطلسي غرباً

إلى الخليج شرقا، وكأن هذه الشعوب تواعدت جميعها، بالرغم من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بينها، ما بين دول بترولية غنية وأخرى معدمة، على فك غزل الحاضر البئيس والحلم ببناء مستقبل

واعد، على أنقاض هذه النظم العسكرية الفاشية والملكيات الاستبدادية المتخلفة، الدائرين كلهم في فلك الأجنبي، والذين لم يفلحوا، وعلى مدى عقود سوى في وأد أحلامهم، وقتل الأمل في ناشئتهم مُكَرِّهين لهم حب الوطن والافتخار بالانتماء إليه، مكممين لتطلعاتهم الطبيعية في العيش الكريم، ومذلين لهم كبشر وكمواطنين، ومصادرين لحرياتهم في الرأي وفي التعبير، مولدين لليأس القاتل فيهم.

كل هذا مصحوب بالتفنن في أساليب تعذيبهم وتخويفهم والغدر بهم، مع انسداد آفاق الخلاص من هذا الجحيم الجاثم على صدورهم، ولو بالهجرة إلى الخارج، التي لم تعد ممكنة ولا واعدة، حال ما حصل مع جيل آبائهم في مصر والشمال الإفريقي في الستينات من القرن الماضي، بعد أن أصبحت دول المهاجر الغربية ذاتها مقبلة على تغييرات اجتماعية حبلى بالقلاقل، تجعل بعض هذه الدول تنتقل بشكل مخيف وبسرعة البرق من دول متقدمة متنورة على صعيد الأفكار، والقبول بالمخالف، والتعامل الحضاري مع مواطنيها والأجانب، إلى دول قمعية متخلفة تشبه دولهم، وكأنها صور طبق الأصل لما فروا منه وظنوا أنهم نجوا من جحيمه يوم فروا وتركوه وراءهم،.....

هذا المشهد الدرامي، أطرته بطالة قاتلة ومدمرة، مهدرة للطاقات ومضيعة للأعمار، على خلفية نزيف مستمر للموارد ونمو مفرط للسكان **{يناهز سكان مصر اليوم 80 مليون نسمة} وكأن ما كان قد توقع به الاقتصادي البريطاني: الأسقف توماس روبرت مالثوس (The Reverend Thomas malthus) (1766 م – 1834 م)**

في كتابة: "مقالة في مبدأ السكان**" (An Essay on the Principle of Population) الصادر بين سني 1798 – 1826 م، من مجاعات عامة وأمراض تلقي بجرانها على كل البسيطة، نتيجة لنمو السكان بحسب متوالية هندسية، بينما المساحات المعدة للزراعة في تقلص مستمر، تجعل نمو الغذاء لا يساير نمو السكان!.**

هذا الفهم الوضعي للأمور، لا يمثل سوى نصف الحقيقة، لما ورد في سورة المائدة، الآية 96:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

والآيتين 65 - 66:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَـتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَـهُمْ جَنَّـتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم)

والنصان يؤسسان من دون لبس ل "أمة الكلمة السواء".

خروج عفريت التحرر من القمقم

لا شك أن انتفاضة تونس ثم مصر

المستعلنتان أخيراً على حاكميهما الفاسدين، المنصبان من الخارج، وما وجدت لهما من قبول ورجع

صدى وتبني ومحاولة إعادة إخراج حذو القدة بالقدة في كل: من الجزائر، وليبيا، واليمن، والبحرين، والأردن، والعراق،.... وما منتظر حصول مثله في القريب العاجل ليشمل باقي البلاد الإسلامية، باغتتا كل الملاحظين، إلى درجة أن لم تتوقع بهما لا مخابرات الدولتين المعنيتين ولا حتى المخابرات الأجنبية!

و لا شك أن كلا البلدين، بل وكل البلاد التي ستتبعهما لا محالة على هذا الدرب التحرري

ستعاني، ومشكلاتها في الحكم واحده، من إحباطات لا أول لها ولا آخر في بدايات مشوارها التحرري، حيث سقف مطالب الناس سيرتفع صاروخيا ليلبي على الأقل ضروريات وحاجيات الحياة، مع تنشقهم الأول لأريج الحرية، وهم الذين قمعتهم الأنظمة لعدة عقود وجمدت أجور من حظي منهم بشغل، وقمعت كل من كان ينادي بحقه فيه ، على حلفية ارتفاع جنوني وأسّيٍّ للأسعار، بينما ما يمكن لأية حكومة طوارئ منصبة في هذه الفترة الحرجة، كيفما كانت تركيبتها السياسية ومشربها العقدي، تلبيته والاستجابة له، لن يرقى إلى معشار معشار المطلوب حتى في أدنى حدوده!

وسيزيد من تأجج لهيب هذه المطالب المشروعة، كون كلتا الانتفاضتين، افتقدتا، لعفويتهما، شرطا أساسيا من شروط الثورات الناجحة، ألا وهو عنصر الحسم، مع توفر البديل القابل للتطبيق بسرعة على الأرض، حال ما توفر ل:

أ) الثورة البولشيفية الشيوعية **سنة 1917، بقيادة لينين** **، وما توفر:**

ب) ل الثورة الصينية الشيوعية **بقيادة: ماو زيدونغ (Mao Tse-tung) (1893 م – 1976 م)** **، سنة 1949 م، بعد عدة محاولات فاشلة له من قبل،**

ت) ول **الثورة الإيرانية** بقيادة

، سنة 1979 م بقيادة

روح الله مصطفى أحمد الموسوي **الخميني** (1902 م – 1989 هم) ،

من بين أخريات، استطاعت، وفي ظرف وجيز نسبياً، القضاء قضاءاً مبرماً، لا رجعة فيه على النظامين السابقين عنهما واستبدالهما، والشعب منضبط ويخضع لقيادة ثورية موحدة، وله قابلية لتحمل التضحيات المطلوبة، بنظام جديد كل الجدة، بالإضافة إلى وجود **أسطورة عقدية مؤسِّسة** بديلة تؤطر الثوار، وبرنامج واضح ودقيق لإحداث التغيير، وأطر متمرسة ومتفانية في خدمة الثورة وقادرة على تحويل المطالب الثورية، بغض النظر عن صلاحها أو فسادها، إلى حقائق ملموسة مجسدة على الأرض.

فمقارنة مع هذه الثورات الثلاث وبالرغم مما يفرق بينها، من جهة المنطلقات العقدية، الأوليتان ملحدتان والثالثة متدثرة بلباس الدين، إلا أنها ثلاثتها بشرت الأتباع **بجنة على الأرض**:

أ) **الأولى** عند نجاح العمال في القضاء على الرأسمالية، بشعارها المعلن: **"يا عمال العالم اتحدوا!"**،

ب) و**الثانية** عند نجاح الفلاحين، بعدما اكتشف **ماو تسي تونغ** على الأرض أن فلاحي الصين، هم عامل التغيير الثوري وليس عماله كما نظر لذلك: كارل ماركس

(1818 م – 1883 م) وفريدريك أنجلز (1820 – 1895 م) في:

"البيان الشيوعي" 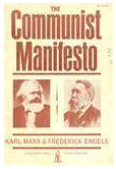 بشعارها المعلن: "حطموا العالم القديم وشيدوا عالماً جديداً على أنقاضه"

ت) و**الثالثة** متخلفة جداً عن عصرها وخارجة للتو من نفق ظلمات التاريخ، المبشرة بجنتها الموعودة، عند رجعة من لم يوجد قط!!!! ولا ولدته امرأة!!!! : **المهدي اللا**

ـ **منتظر**، بشعارها المعلن: "**اللهم عجل فرجه!!**"

فمقارنة مع هذه النماذج الثلاثة، وكلها، رغم ما يوحد أو يفرق بينها، **ثورات الفجر الكاذب**، فالحالة **التونسية** كالحالة **المصرية** التي أعقبتها، افتقرتا إلى مثل هذا **التأطير** وهذا **البرنامج**، وهذا **الحسم**، لطبيعتهما العفوية وللقمع الكبير الذي تعرض له المعارضون من طرف النظامين، والنزيف المستمر الذي عانت منه زعاماتهم وأطرهم، حيث أدركتهم الانتفاضة على حين غرة، وغالبيتهم إما قابعون بداخل السجون، أو هم مراقبون من طرف الأجهزة الأمنية اللصيقة.

وظاهر أن المعارضة في كلتي الدولتين، لن تستطيع إعادة تنظيم نفسهما سوى بذهاب النظام وتفكيك أجهزته القمعية، وهو ما سيأخذ بعض الوقت بالضرورة.

فلئن تمكنت **تونس** من طرد جلادها: **زين العابدين (للشيطان): ابن علي**

الذي أتت به المخابرات الأمريكية، إلا أنها لم تتمكن بعد من استبدال نظامه، حتى أنه لا يزال، **وهنا مكمن الخطر**، هو من يسير مرافق البلاد، ويتحكم في سياساتها!!!!.

وتنطبق الحالة التونسية على الحالة المصرية، حيث تمكن تلأخيرون بدورهم من طرد فرعونهم المعاصر: **حسني مبارك** ، المنصب بدوره من طرف نفس المخابرات، وبقي نظامه، بل تقوى هذا النظام بذهابه، وباستيلاء الجيش على مقاليد الأمور بالبلاد.

وهذا ***المأزق الثوري*** *يحمل نذير شؤم للحيثيتين التاليتين:*

أ) كون **الجيش التونسي** وغالبية أطره الكبار **مغتربون في المطلق**، شأنه شأن نظيريه الجزائري والمغربي، لكون **المغترب الأكبر: الحبيب بورقيبة** (1903 م – 2000 م) كونهم في **فرنسا** وخضعوا هناك لغسيل دماغ متقدم، أشربوا فيه حتى النخاع علمانية **جول فيري** (Jules François Camille Ferry) (1832 – 1893 م) ، ما شربها **بورقيبة** نفسه، في الوقت الذي لم يكونوا فيه محصنين إيديولوجيا بالقدر الكافي، مادام سقف المعارف الدينية، حتى عند أحسنهم طريقة لم يكن ليتجاوز مستوى معرفة العجائز المقلدة، فما بالك وأن مظاهر التدين، أيا كان شكلها كانت تعد كافية في رفض القبول بالمنتسب للانخراط في الجيش، بل وفصله من الجيش طراً متى ظهرت عليه ملامحه!! أو استعلن بها!

ب) لم يختلف **الجيش المصري** ، بما عرف عنه من عداء **للإخوان المسلمين** خاصة، منذ حادثة محاولة اغتيال **جمال عبد الناصر** ب المنشية سنة 1954،

وللجماعات الإسلامية عامة، منذ اغتيال **أنور السادات**

من طرف أفراد من هذا الجيش بعد توقيعه لاتفاقيات **كامب ديفيد** مع إسرائيل.

وكالحالة التونسية فأطر الجيش المصري الكبار، متخرجون من المعاهد العسكرية الأمريكية، ما بعد هذه الاتفاقية، وقد حاول **مبارك**، تهجين الجيش وترويضه للقبول بابنه خلفاً له، إلى درجة أن لم يعد للجيش المصري، من جهة الاعداد، من مسمى الجيش سوى الاسم، لافتقاده للبوصلة والتوجه والعجز عن الإنجاز، وعدم قدرته على شن حرب أو الدفاع عن نفسه إن هو شنت عليه، دون أن تمده أمريكا بما يحتاجه من سلاح!!!!، وعتاد!!!!، وخبراء على كل الأصعدة!!!.

فتغيير تفكير هذه النخب الشائخة المهجنة، ليست بالسهلة ولا باليسيرة، كما قد يتصور أو يتوهم البعض، بل سيحتاج التغيير، حتى لو كانت النية معقودة على مثل هذا الخيار، إلى عقود وليس شهور، ليس فقط، لعدم وجود قطب دولي بديل عن **أمريكا**، يمكن الاعتماد عليه في إعادة تأهيل

الجيش المصري، ما حصل أيام **البكباشي : جمال عبد الناصر** ، حين وجد في **القطب الشيوعي** ذلك البديل !، بل لعدم وجود مثل هذا التفكير أصلاً لدى الأطر الكبار لهذه النخبة العسكرية المدجنة!.

ولو تجشمنا عناء القيام بجرد ل **الرابحين** و**الخاسرين** في انتفاضتي البلدين، فسنجد، وليس هذا من الصدف، أن **الجيش** في كلا الحالتين، وإن اختلفت وضعيته الاعتبارية في النظامين، هو من استفاد بالدرجة الأولى، حتى الآن، من الانتفاضتين وأمكن اعتبار **الجهازين الأمنيين** خاسرين في البلدين معاً، لاحتكاكهما المباشر بالشعب وكونهما مثلا أداة القمع المباشرة للنظامين، الذين استطاعوا وعلى مدى عقود إذاقة الشعبين الأمرين من الذل والهوان، وشحنا الشعبين معاً بجرع عالية ومركزة من الكراهية نحوهم.

وينطرح السؤال:

أين نصنف:

أ) **الإخوان المسلمين**

، المقموعين من طرف الجيش الذي قام ب ثورته الفوقية في يوليو 1952 م على **الملك فاروق** (1920 ـ 1965 م)

، وأرغموه على التنازل على العرش، وخصوصاً بعد حادثة المنشية سنة 1954 م التي اتهم فيها الإخوان بمحاولة اغتيال **جمال عبد الناصر** (1918 م ـ 1970 م).

ب) وحركة النهضة التونسية، المقموع أتباعها منذ تنحية **ابن علي** ل **الحبيب بورقيبة** ((3 أغسطس1903 - 6 أبريل 2000) في 7 نوفمبر 1987 م

واستفراده بحكم البلاد،

ت) و**شباب الفيسبوك**، و**تويتر**، و**يوتيوب**، و**المثقفين** والحقوقيين، والإعلاميين،....

ث) وباقي الجموع الشعبية،

الذين ملئوا شوارع وميادين المدن التونسية والمصرية ؟

فلحد الساعة، وبسبب عدم توفر **عامل الحسم التاريخي** لكلتي الانتفاضتين، وهو عامل أساسي لنجاح الثورة أو فشلها، فظاهر أن الجيش في البلدين هو الرابح الكبير في هذه المواجهة.

فبالنسبة **للجيش المصري** خاصة، فليس سراً، أن بعض القادة الكبار لهذا **الجيش**، لم يكونوا ينظرون بعين الرضا إلى محاولة **مبارك**، متأسياً في هذا المسعى بما فعله قبله المملوكي: **محمد علي باشا** الكبير (1769 – 1849 م)

توريث الحكم لابنه **جمال** وحرمان **الجيش** من المزايا التي ظل يتمتع بها منذ أسس **عبد الناصر** ورفاقه لهذا الحكم،

وواضح جلي أن الانتفاضيين، لم يحققا لحد الساعة سوى انتصارات جزئية بالضربات الفنية، وليس حسم المعركة ب**الضربة القاضية**.

والمعضلة هنا ذات حدين.

فلئن كان **المنتفضون** يفتقرون إلى **عنصر الحسم** لقلب مجريات الأحداث لصالحهم

وتسلم الحكم من الجيش **غلاباً**، حال ما حصل في الثورات: **البلشفية**، و **الصينية**، و**الخمينية**،

وغيرها من الثورات الناجحة، فالجيش بدوره، لم يستطع، وفي كلا البلدين، حسم الأمر لصالحه والاستفراد بالحكم دونهم في هذا الظرف التاريخي العصيب، خشية أن تحل الفوضى العارمة بالبلدين وينفرط عقد الأمتين معا، وهو ما لا يحبذه أي طرف!

وقد نتج هذا المأزق من كون: **الثورة** بمفهومها الذي استقر في أذهان الناس، لا يمكن أن

تحصل بغير قيادة موحدة عقيدة مؤطرة، حال ما هو حاصل الآن في كلتي **الانتفاضتين**.

ف**الجيش المصري**، ومع افتراض إخلاص نية القائمين عليه، وهذا أمر مستبعد وغير

مسلم به في عالم السياسة، لاختلاف مصلحة الطرفين في المنظورية، حتى وإن اتفقا مرحليا على هدف واحد، لطبيعة تكوين الجيش ومشربه الذي أشربه لعقود واختلط بدمه وعظمه.

فهو لم يتدخل في الأحداث سوى في الساعة الأخيرة، فاتحاً المجال للنظام السابق ليجرب كل أوراقه بينما كانت مصر قاب قوسين من انفراط عقدها،

ولهذه السابقة، فمنتظر من الجيش أن يماطل ككيان خلاسي في الوفاء بالتعهدات التي أخذها على عاتقه، في **تسليم الحكم للمدنيين**، ترضية للشارع في الظاهر، مراهنا على أن ستة شهور

من الآن، تعد فترة كافية، تعطيه مهلة كبيرة لمعالجة الانتفاضة بجس نبضها، بإحداث حوادث، ثم بالاعتذار عنها متى تجاوزت الحدود!.

ولست أستبعد، أن تراود كباره فكرة استغلال الزمن أقصى ما يمكن، على أمل أن يفعل الملل فعله في الأفكار وفي النفوس وفي المطالب الملحة للانتفاضيين.

بل لا أستبعد مطلقا، وخلفية أطر الجيش الكبار ما استعرضنا، وهم من يتحكمون في الجيش، وليس مجنديه، الذين لا يشك أحد في ولائهم للشعب، أن يسمح القادة العسكريون لفلول النظام السابق المشاركين لهم في التكوين والمشرب والتوجه، والذين لا زالوا ويا عجب العجاب!!!!، يحتفظون

بمناصبهم ويسيرون كل مرافق الدولة، بإحداث **انتفاضة مضادة!!!.**

فأمثال هذه الأطر من النظام السابق ورموزه، لن يسلموا بالهزيمة بسهولة، خصوصاً وأن نجاح الثورة سيعني لهم لا محالة مذلة المثول أمام المحاكم التي ستعريهم أمام الملأ وتفضح سرقاتهم وممارساتهم، التي لن تزيدهم في أعين الشعب سوى كرها ومقتا!!!

فالموت بالنسبة لهؤلاء أهون من أية محاكمة عادلة!!

لذلك، لا أستغرب مطلقاً، أن يماطل الجيش ما أمكنه، وتحت أعذار واهية شتى، في تقديم رؤوس النظام ومافيا الحكم والآلاف من المفسدين المؤتمرين بأوامرهم إلى المحاكمات، مكتفياً بذر الرماد في العيون بتقديم طل أفراد وزمر صغيرة منهم موحياً بعمله هذا وكأنه يلبي أحد المطالب الأساسية للمنتفضين!، بينما تماطله هذا مكنهم جميعاً والحكام من نفس طينتهم وعجينهم، من تحويل أرصدتهم إلى بنوك الأوفشور التي لا تخضع لسلطة الدول!

بل إن وجود أبناء بررة للنظامين من شاكلة:

أ) محمد الغنوشي (ت: 1941 م) **، {المدير العام السابق للتخطيط سنة 1975, وكاتب دولة لدى وزير التخطيط سنة 1987 م، في عهد الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة، ووزيرا للاقتصاد سنة 1990، وزيرا للمالية، ثم وزيرا للتعاون الدولي والاستثمار الخارجي، الذي شغله حتى تسميته وزيرا أولا في 1999} كرئيس للحكومة في تونس،**

ب) الباجي قائد السبسي (1926 -.....) **، {المعين منذ 27 فبراير 2011 م، خلفاً لمحمد الغنوشي، بعد أن أرغم الأخير على الاستقالة. وهو كالغنوشي ابن للنظام السابق، محامي التكوين وخريج كلية الحقوق في باريز وتولى عدة مناصب في الدولة التونسية بين 1963 و1991. وعمل كمستشار للحبيب بورقيبة، ثم مديراً لإدارة جهوية في وزارة الداخلية، وثم إدارة الأمن الوطني سنة 1963، ثم وزيرا للداخلية، ثم وزيراً للدفاع خلال الفترة (1969 – 1970 م)، ثم سفيرا لدى فرنسا. ثم شغل منصب وزير معتمد لدى الوزير الأول محمد مزالي، ثم شغل منصب وزير الخارجية سنة 1981، ثم سفيراً لدى ألمانيا الغربية سنة 1987، ثم أنتخب في مجلس النواب سنة 1989 وتولى رئاسة المجلس بين 1990 و1991. وقد سرد تجربته مع بورقيبة في كتاب "الحبيب بورقيبة، البذرة الصالحة والزؤام" الذي نشره سنة 2009، قبل أن يعين في 27 فبراير 2011 خلفاً للغنوشي 3 ساعات فقط بعد استقالة الأخير.}**

وهو ما يعني أن النظام القائم كان يعده سلفاً لتولي المسؤولية في هذا الظرف العصيب.

فلا عجب أن يرفضه المنتفضون ما رفضوا الغنوشي!

ت) و**أحمد شفيق** (1941 م ـــ) رئيساً للوزراء في مصر {الملحق العسكري السابق في إيطاليا بين عامي 1984 و1986، ورئيس أركان القوات الجوية عام 1991، وقائد القوات الجوية في 1996، ووزير الطيران المدني عام 2002 م، الذي يحظى بالثقة الكاملة ل **مبارك**}،

وهذا يعطي النظامين فرصة ذهبية في ظل هاتين المظلتين، لإخراج أموالهم وأموال كل من يريد إلى الخارج وتبييضها، بل والحصول على عمولات إضافية بالرشوة، لولا أن سحباً متلبدة في الأفق تحذر قادة الجيش المتنفذين من مذاعبة مثل هذا الحلم! فيما ينتشر الآن من حركات إضراب تعم سائر المرافق الصناعية في مختلف المدن والمحافظات في كلا البلدين.

فالأطباء يضربون، والسائقين للأتوبيسات يضربون، وعمال الحديد والصلب يضربون، وعمال الإرشاد، الذي يديرون حركة السفن بقناة السويس يضربون، ورجال القضاء والنيابة يضربون، بل ورجال الشرطة!!!، وحتى مشايخ الأزهر وطلبته يضربون!!!،.....

وكل مطالبهم تتركز، ولا غرابة في ذلك!، حول مطلب واحد ووحيد:

تحسين معايشهم بالزيادة في الأجور!!!!

هذا، في الوقت الذي يكاد الاقتصادان المصري والتونسي يختنقان، ويصابان بالسكتة القلبية، مع توقف الكثير من المرافق الحيوية الرافدة لهذين الاقتصادين، المدرة للعملة الأجنبية مثل السياحة، ومداخيل قناة السويس، والتصدير،.....

بل بدأت تظهر، وبسب انعدام التأطير العقدي والثوري **مظاهر فوضوية** متفلتة من عقالها

ومنذرة بمخاطر لا أول لها ولا آخر على السلم الاجتماعي، تستغل انشغال النظام بنفسه، لترتمي على الملك الخاص والعام، وتستولي عليه، حال ما بدأ يحصل في كلا البلدين الآن. منذرة بصوملة لا تبقي ولا تذر للبلدين، ما لم يتحكما فيها بسرعة.

لذلك، سيعزف الجيش في البداية في كلا البلدين عن تحمل مسؤولية الحكم في هذا الظرف العصيب مرغما لا بطلا، وسيعمل جاهداً على أن يسلمه لمن يطلبونه، بحسب قوتهم النسبية أو النوعية على الأرض، وهو يعلم علم اليقين أنهم سيحترقون به! بمجرد أن يعينوا ويشرعوا في محاولة حلحلة الأمور، خصوصاً وأن الإدارات وكل مرافق الدولة تسيرها أطر موالية بالضرورة للنظام السابق، بالإضافة إلى كون هذه الحكومة، إن اقتصر على أن تكون تقنوقراطية صرفة، لن تفلح في مهمتها ما لم يكن كل وزير من وزرائها ثقف لقن له خبرة كبيرة في تسيير ما يعهد به إليه ويُعطى شيكاً على بياض ليستعين بطاقم من الأطر الجديدة تعمل معه كفريق متجانس كي يستطيعوا رصد الاختلالات في الأداء، وتشخيص جيوب المقاومة والعمل على تجاوزها.

ولابد هنا من رفع سيف المحاسبة ليطال كل من يتحمل المسؤولية، وتحصى ممتلكاته قبل تولي السلطة وعند الخروج منها كرادع.

وقد يدفع هذا المأزق في عدم وجود قيادة ثورية حاسمة بالانتهازيين والغوغائيين من الذين قفزوا وركبوا عربات الانتفاضة في آخر لحظة على المزايدة على الشرفاء المشهود لهم بالنزاهة، إلا أن يرضوا بتمكينهم من بعض المناصب أو بعض المكاسب.

والشفافية هنا تعد الخيار الأمثل لتجاوز سلبيات مثل هذه الظاهرة التي لا تخلو منها ثورة قط.

والشاهد على ضرورة الحيطة والحذر واليقظة والعمل على تصعيد وثيرة المطالب، حادثتان ملفتتان لا تخطئانك النبأ بما قد يكون يدبر في الخفاء:

أ) كون الديكتاتور السابق: مبارك لا يزال طليقا حراً يجتمع به أزلامه في شرم الشيخ، بينما المفروض بعد سقوطه هو أن يكون هو وأسرته وطاقم حكمه في إقامة جبرية، انتظاراً لمحاكمتهم،

ب) إخلاء الشرطة العسكرية للمعتصمين بميدان التحرير بالقوة بضربهم والاعتداء عليهم، لا يختلفون في شيء عما دأب عليه الجهاز الأمني المصري،

ت) كون الجيش لم يفرج بعد على سجناء الرأي، وهو أول ما تقوم به أية ثورة ناجحة.

وبما أن كل إناء بما فيه يرشح، بحسب السنن، فسيعاود الجيش الكرة، وسيعاود الاعتذار المرة تلو المرة إلى أن يضعف المنتفضون، أو يفتر حماسهم، أو يدب بينهم الشقاق اختلافاً على جزئيات،....

وهو ما يراهن عليه النظامان في تونس ومصر لا يحيدان ولا يزيغان، بالرغم من التطمينات المتكررة التي تعمل عمل المخدر لكسب الوقت.

و**عندي** أن تفكك نظم الحكم في هذه الدويلات الأطراف مثل ما حصل ويحصل الآن في كل

من: **الجزائر** ، و**تونس** ، و**ليبيا** ، و**مصر**

، و**اليمن** ، و**البحرين** ، و**الأردن**

، و**العراق** ، و**المغرب**،...., وغيرها ممن سيأتي عليه الدور

لا محالة، سيستمر بزخم أكبر وبوتيرة أسرع، لكون جحيم الحكم الذي جثم عليهم جميعاً وكتم أنفاسهم جحيم واحد، ونتاجه على الأرض واحدة كذلك، وإن كانت لكل واحدة من هذه الدول خصوصيات تنفرد بها قد تساعد أو تمنع من انتقال الاحتجاجات من طور الانتفاضة الكاذبة إلى طور الثورة الصادقة.

فالتقنية الاتصالية، وهي فلتة تاريخية، وحدت هذه الشعوب من المحيط إلى المحيط في المطالب والآمال لأول مرة بالرغم مما قد يفرقها من حيثيات وجزئيات!

بل أصبحت هذه الشعوب تتماهى مع بعضها البعض مستمعة ومشاهدة، منفعلة وفاعلة تتعلم من بعضها البعض وتحاكي على الأرض حذو القدة بالقدة ما رأت وما سمعت مكررة لذات الشعارات التي سمعوها من التونسيين وهم يرددون أبيات الشاعر الشابي: "إذا الشعب يوما أراد الحياة....، ومن المصريين: الشعب يريد إسقاط الرئيس، الشعب يريد إسقاط النظام،...إرحل ! إرحل!...

وبدا وكأنهم امتداد طبيعي للشعبين على الأرض خارج الحدود الجغرافية التي رسمها الاستعمار، غابت معه الخصوصيات وتقلص الزمان وتوحد المكان ولم يعد لهما من وجود أو اعتبار في العالم الافتراضي المتشكل، المعبر عن الحقائق الاجتماعية الجديدة.

لكن، وجب تنبيه المنتفضين وهم في أوج نشوتهم بالانتصار، أن انتفاضتهم هذه ليست أول انتفاضة أو ثورة انتقلت فيها ثورة الفجر الكاذب بالعدوى من مكان إلى آخر.

فقد حدث هذا كثيراً في التاريخ الإسلامي سواء إبان الحكم الأموي أو العباسي أو في العصور اللاحقة.

أما في العصر الحديث فقد حدثت **ثورة فجر كاذب** سنة 1848 حين تمكنت انتفاضة بقرنسا، على خلفية كارثة زراعية، من التخلص من حكم ملكي وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية

وانتقال العدوى إلى دول أوروبية أخرى، إلا لتجهض الثورة على يد **لويس نابليون بونبارت** (Louis-Napoléon Bonaparte)

، حفيد نابليون الأول، عندما انتخب، ويا عجب العجاب!!، رئيسا للجمهورية، ليحولها مجددا إلى ملكية بعد أربع سنوات فقط!!!!!.

وحصل أيضا سنة 1968 بفرنسا فيما عرف ب **"ثورة الطلبة"** أو **"اليسار الجديد"** {صورة لمظاهرة حاشدة في باريز}

، حيث انتقلت عدواها إلى بعض الدول الأوروبية وإلى الأمريكتين، وآسيا، حيث وجدت لها صدى في كل من: مونتريال بكندا {صورة للطلبة وهم يتظاهرون بداخل جامعة **ماك جيل** (mcgill)

ونيويورك، والمكسيك وطوكيو باليابان، وأدت إلى تنحي وتخلي **الجنرال دوغول**

الزعيم التاريخي الفرنسي، الذي أنقذ فرنسا مرتين، عن السلطة في فرنسا، عندما دعا إلى استفتاء عام على شخصه، يعطيه صلاحيات استثنائية، فتنحى عندما جاء الاستفتاء سلبيا، على عكس ما نشاهد من تعلق ديكتاتوريي العرب بالسلطة حتى ولو أدى ذلك إلى انفراط عقد دولهم!

وهذا فارق فيصل بين التحضر والتخلف.

ولعل ما مكن ل الانتفاضة العربية الحالية من الانطلاق ثم اشتداد عودها وتصلبه، كونها نجحت في الإفلات من أعين رقابة الأجهزة القمعية العربية الرسمية لتخلفها الحضاري والعلمي والنوعي وعدم مسايرتها للعصر، حيث وجدت هذه الأجهزة نفسها بغتة، أمام فاعل سياسي جديد خرج للتو من العصر الافتراضي الرقمي، لا يستطيعون التعرف على هويته لتهديده أو للقبض عليه، ولا كتمه على ما اعتادوا في الماضي، عندما كانوا ، وإلى وقت قريب يحتكرون صناعة اختلاق الأخبار الزيف، وصياغة الكلمة ومنع التشويش عليها من طرف المراسلين والصحافيين المتواجدين في عين المكان، بمصادرة أفلام تسجيلهم وتكسير آليات التقاطهم وبثهم!

هنا، تحول المواطن العادي إلى متظاهر ومراسل في ذات الآن يسجل الحدث الذي يشارك في خلقه بهاتفه النقال، ويبثه حياً إلى العالم بالصوت والصورة، شاهدا على الحقيقة العارية كما هي بدون تزييف، ومزهقا في ذات الآن لأراجيف إعلام الحكومات وأباطيلها متلقفا لها في المهد ما تلقفت عصى موسى أكاذيب سحرة فرعون!

والظاهر أن الحكام العرب، والتجلط الفكري دثارهم، لم يتعظوا من فشل الجيش الأمريكي في التحكم في الخبر والصورة في الحرب الفيتنامية، ولا عندما أعاد هذا الجيش الكرة مرة أخرى أثناء غزوه للعراق، وأخذ معه طاقماً كبيراً من المصورين والإعلاميين المزيفين، وسمح لهم وحدهم باختلاق الخبر، وبثه للعالم كملهاة كبرى، لا تمت إلى الواقع الذي يجري على الأرض بصلة!، إلا لتخرج فضائية الجزيرة بالخبر اليقين كما هو، قالبة سحر العم سام عليه, لتتحول قنوات العالم إليها لتستقي الخبر وتهمل قنوات العم سام وغيرها من القنوات.

وها هي تفعلها مرة أخرى!

وسيسجل **التاريخ الانتفاض العربي** في فلسطين والعراق وغيرها أن ل **قناة**

الجزيرة فضل كبير على ثورتي تونس ومصر وغيرها من الأقطار، بما راكمت من مصداقية عند

رجل الشارع العربي، إذ لولاها ما تسرعت وتيرة الثورة ولا امتدت في المكان، وكسبت الرهان، حين راسلها المواطنون الصانعون للحدث بالمادة الإعلامية، وسهلوا عليها إخراجها وبثها للعالم، يوم حجب عنها المكان ومنع مراسلوها من التواجد فيه!

فلتة إعلامية لن تتكرر

انتقلت **ثورة الياسمين** في تونس ومصر إلى **الصين**، التي يحكمها نظام مركزي

قاهر، حيث ظهر على **التويتر** إعلان يوم 20 فبراير 2011 يدعو الناقمين على الحكم الصيني

بالتجمع في 13 ساحة عمومية في عدة مدن.

وتلافيا لحدوث ذلك، انتشرت الشرطة في تلك الأماكن لاصطياد المتظاهرين، كما تظهر الصورة المصاحبة.

وقد ذهب بعض المحللين إلى القول بأن الأجهزة الأمنية الصينية هي من يقف وراء الإعلان عن التجمعات استباقاً لحصول مثل هذه القلاقل في الصين، كمصيدة للنشطاء المحتملين لإلقاء القبض عليهم!!!

انتفاضة على خلفية كونية مثلبدة بالغيوم

من اللافت أن هذه الأحداث تتشيأ على خلفية **أزمة كونية** مستعلنة في الأفق حبلى

بالكوارث والفواجع، بسبب النقص في المواد الغذائية وارتفاع أسعارها في كل دول العالم، من دون استثناء، إلى درجة أن الكثير من المحللين السياسيين والباحثين الاقتصاديين بدءوا يتحدثون عن: "نهاية الغرب" كمنظومة سياسية، و"نهاية أمريكا" بالخصوص، بسبب مديونيتها القارونية، {أنظر بهذا الخصوص}:

أ) **بورتر ستروبريز**: "نهاية أمريكا"، فيديو: **حالة ما لا يمكن الإفلات منه للتضخم الفائق والقلاقل الاجتماعية:**

{Porter Stansberry's "End of America" Video: The Case for Inevitable Hyperinflation and Social Unrest}

ب) **دان فيريس**: "علامات بأن نهاية أمريكا اقتربت"

Signs the "End of America" Is Nearing

By Dan Ferris, editor, *Extreme Value*

وغيرهما بذات العناوين اللافتة.

فأحد هؤلاء المحللين يتوقع بالأرقام أن تنتقل هذه القلاقل إلى أمريكا نفسها في غضون هذه السنة (2011)، أو بعدها بقليل، بسبب مديونيتها للعالم، وهو ما سيعرضها للإفلاس كدولة، ويفضي بعملتها إلى الانخفاض المهول، منتهية إلى كارثة اجتماعية لم تشهد لها أمريكا مثيلاً من قبل في تاريخها كله، بمجرد أن تتخلى نسبة كبيرة من دول العالم على اعتبار الدولار: عملة احتيـــاط عالمية.

لكن، مع فارق كبير ملفت، كما يتوقع بورتر ستروبريز في فيديو شاهده 7 ملايين لحد الآن، وهو: أن تلك الانتفاضات الاجتماعية بداخل مدن أمريكا، ربما قد لا تكون سلمية، ولا منسامحة، كما حصل في تونس ومصر حتى الآن، لتوفر السلاح للجميع، ما توفر لليمنيين، وإن اختلفت البنى الاجتماعية والظروف بين اليمن العشائري والولايات المتحدة المتمدنة، إلا أن النقمة على النظامين من طرف الشعبين واحدة، لأن كلاهما يصنف ضمن الدول الفاشلة!

وللمرء أن يتخيل نقمة العارمة التي سيحس بها غالبية أفراد الشعب الأمريكي وهم يشهدون مستواهم المعيشي يتدنى إلى مستويات "دويلات الموز"!! وهو ما لم يساور مخيالهم ولا مخيال الآباء المؤسسين قط حتى في أحلك كوابيس أحلامهم!!.

وعندي، أن متى وصل الأمر إلى هذا المنعطف، فستبرز ثلاث حقائق:

أ) أن لغة الخشب التي يوزعها المسئولون الأمريكيون، يمنة ويسرة بسخاء هذه الأيام، نصحاً أو تهديداً مبطنا لعملائهم في المنطقة العربية والإسلامية بعدم اللجوء إلى العنف!!! والتشجيع على الحوار!!!! ستختلف تماما لأن 43 مليون أمريكي يحصلون اليوم على غذائهم بواسطة نظام إعانة حكومي يعرف ب "قسائم الطعام" (Food Stamp).

ب) إفلاس النظام يعنى سقوط الإمبراطورية واتساع دائرة الفقر بين الأمريكيين وتفاقم الطالة بينهم إلى مستويات عالية لم يشهدوها سوى في أيام الحروب،

ت) تفاقم الأزمة الاقتصادية سيعني لكل أمريكي افتقاد الأمل في التشغيل، خصوصاً وقد هجر الرأسماليون المصانع والشغل إلى آسيا، لزهد الأجور بها، حارمين المواطن الأمريكي من مصدر طبيعي للرزق وتحويله إلى شحات يستجدي العطف والصدقات في بلد يزخر بالخيرات والموارد!!!!

ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث من قلاقل متى تدنت قيمة الدولار وتقلصت قوته الشرائية بسبب التضخم الناتج عن التريليونات من الدولارات الورقية والإلكترونية التي طبعها العم سام بدون رصيد! واضطر باقي الأمريكيون أن يدفعوا ثمن البنزين وثمن الغذاء بالأسعار العالمية!

فليس من جموح الخيال، وكما حدث ويحدث دوما عند سقوط كل الإمبراطوريات، أن يستتبع هذا السقوط مطالب استقلالية وانفصالية، حال ما يرد اليوم من **اليمن** ، وما حصل فعلاً في

السودان، وما يلوح المجنون **معمر القذافي** بإحداثه في **ليبيا**.

وقد لا يقف التشرذم والتمزق عند هذا الحد، متى انفرط عقد المجتمع وتغلبت النزعات الفئوية والخصوصيات الإثنية المكونة لفسيفساء المجتمع الأمريكي المتنوعة، على ما يجمع بين المواطنين من لحمة وهوية مشتركة!!!

وقد تؤدي كل هذه القلاقل الاجتماعية إلى تفكيك عرى الولايات المتحدة وخروج بعض ولاياتها من الاتحاد، مفضية بديناميكيتها الخاصة إلى حرب أهلية قد لا يتمكن الجيش من السيطرة عليها.

وما دول الاتحاد الأوروبي بمنآى عن مثل هذه السيناريوهات الكارثية على صعيد الاتحاد ككل، بل وعلى صعيد كل دولة من دوله، وحتى كل مدينة من مدنه، حال ما حصل في تاريخها الملئ بالدم

خلال القرون الوسطى وإبان النهضة، وما حصل مثله في غرناطة ، يوم اقتسم حكمها العم وابن العم، والعدو قابع يتربص بهما الدوائر خارج أسوارها.

ولا شك، بحسب الآية 42 من سورة "الأنعام" :

﴿ فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾

أن التحول المجتمعي من مجتمع مقموع مكبوت الأنفاس والتطلعات إلى مجتمع حر، مع تصاعد النمو السكاني، وقلة ما باليد من موارد، سيكون عسيراً، وسيكتشف المنتفضون اللاهجين الآن بمحاسن **الديمقراطية!!!**، وليس **الشورى** {أنظر على موقعنا: حلقات: {صحوة أم غفوة: الحيل الثالث من العبدويين، الحلقة8: أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام}، **المأمورون بها شرعا**، من ربهم، لجهل أكثرهم بإسلامهم، أن الانتفاض على الحكم، ما لم يحسم بسرعة، يفضي في نهاية المطاف إلى قومة الجياع، وما أدراك ما قومة الجياع!!!!، حين يغيب التعقل ويصبح من الترف الفكري ولا يتحدث الناس بعد بلوغ نقطة اللارجعة هذه، سوى بلغة بطونهم حال كل الكواسر بعد أن يفقدوا آدميتهم وتغلب عليهم بهيميتهم الدفينة في كل واحد منهم، فتذهب ريحهم ليتفرقوا شدر مدر، غير مأسوف عليهم، كأن لم يغنوا في بلدهم بالأمس القريب، مذيقين لبعضهم البعض من بأس هذه الحيوانية بدون شفقة أو رحمة.

يومها فعلى المدنية السلام ما لم يقم نظام عالمي آخر يستلم التركة من النظام الإمبراطوري الهالك.

يومها لن تغني الدول الغربية المتأسسة على هذه **الديمقراطية!!** البهرج المتغنى بها الآن من بين **انتليجانسيا الشرق المغتربين** دوما، ما اغترب الجيل قبلهم، والجيل قبله، من ذات السقوط الحتمي الذي سقطوه!.

وللتذكير لمن ألقى السمع وهو شهيد!

أوليست! هي عين الديمقراطيات التي استعمرت العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر؟، وجاء **نابليون الأول** يبشر بها المصريين، إلا ليعدم من بينهم 10 أنفار كل صباح، كي يخيف المصريين ويثنيهم عن الثورة عليه!، بعد أن حاول المصريون تطبيق مبادئ الثورة التي لقنها إياهم الفرنسيون أنفسهم!!!، ليكتشفوا أنها ثورة زور وبهرج، تحمل شعارات براقة وزائفة بثالوثها الخداع: **"حرية ـ أخوة ـ مساواة"**، قيس على مقاس الفرنسيين، ولم يضمر للمصريين ولا لغيرهم من الشعوب التي اكتوت بالاستعمار الفرنسي سوى العبودية والقهر!.

ثم، أوليست! هي عين الديمقراطية التي بشر بها الفاشي بوش الإبن

العراقيين كاذبا على شعبه وعلى العراقيين وعلى العالم، بينما كان دافعه ومحفزه الأول كون:

صدام حسين لم يقبل بما قبلت به دول الخليج، من تسويق بتروله بالدولار، الذي لا يكلف البنك الفدرالي الأمريكي (The Federal Reserve

Bank)، {وما له من الفدرالية سوى الاسم الزور، لأن مالكه الحقيقي هم الأبناك الخاصة وليس الحكومة الأمريكية! وناهيك به من نهب ممنهج لثروات الشعب الأمركي، ومن خلال حكومته للعالم كله، إلى درجة أن نهب بنك البنوك هذا أمريكا وأفلسها ومعها العالم الغربي وباقي دول العالم ضمن هذه المنظومة!}، سوى ثمن طباعة ورقه، فيجني هذا البنك أو بالأحرى الأوليجارشية القارونية البنكية المالكة له كل الأرباح، دون أن يكلفها ذلك أدنى مصاريف، بينما الدول المنتجة لابد وأن تسدد كلفة الإنتاج والنقل والتوزيع!

وقد شنت هذه الأوليجارشية البنكية بواسطة حفنة من عملائها المحسوبين على المحافظين الجدد حرباً ظالمة وغاشمة على العراق، وعلى الشعب الأمريكي نفسه في الداخل بما سنوه من قوانين إرهاب كممت أفواههم وصادرت حرياتهم الدستورية وغيرها من الحقوق، خدمة لأهداف إسرايل ولبوبيها الأخطبوطي النافذ في أمريكا

، ما فعل الفاشي موسولوني

في إيطاليا، والنازي هيتلر في ألمانيا

،...ولم نسمع أن هذه الديمقراطيات الزيف، المتحكم فيها من طرف هذه الأوليجارشيات البنكية والمالية، تجرأت على تقديم أيا من الرؤساء ممن أشعلوا تلك الحرب، حال بوش وبلير

، حتى بعد أن تيقن الجميع من كونهما كذبا على شعبيهما، إلى المحاكمة كما ينص دستوراهما معا على ذلك!!!!

فالكثير في العالم العربي والإسلامي لا يعلمون أن الشعب الأمريكي ليس له اليوم من الحرية سوى اسمها، وهو الذي يفتش عند كل منعرج، ويتصنت على مكالماته ويطلع رغما عنه على بريده الخاص، بل لا تجهل عن شخصه صغيرة ولا كبيرة من معاملاته ومشترياته على العم سام، تماما كما تنبأ بذلك الكاتب والصحفي: **"إريك أرثر بلير"** (Eric Arthur Blair) المشهور بلقبه المستعار:

"جورج أورويل" (George Orwell) (1903 م – 1950 م) في قصته الخيالية: **" ألف وتسعمائة وأربعة وثمانون"** 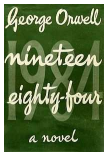

الصادرة سنة 1949 م حيث يتحدث عن الحكم الأوليجاركي المتحكم في أنفاس الناس، بما هو حاصل تماما إبان حكم **بوش الإبن**.

ودليلك على ذلك، أنه لا توجد قناة تلفزية حرة واحدة في الغرب كله، حيث أنها أصبحت كلها مملوكة للأوليجارشيات البنكية، ولا تستطيع أياً منها أن تفعل ما تفعله قناة الجزيرة مثلا. وهذا أضعف الإيمان في الإعلام!!!!

فمغبون! هو المواطن الأمريكي العادي، الذي خضع لهندسة اجتماعياة في البيت وفي المدرسة ليكون طيعاً يلهو ويلعب ويجهل كل شيء عن السياسة وما يجري حوله وفي العالم.

فهو يستحق كل تعاطف ومودة وتواصل مع وضعه المأساوي، والدعاء له بأن يفك الله أسره ويحرره، بنفس القدر الذي نتمناه لكل إنسان.

ثم، أوليست! هذه الدول هي عينها التي أنشأت **دويلة إسرائيل** في قلب العالم العربي لتشل نهضته ضدا على المبادئ المؤسسة لهذه الديمقراطيات وهضما لحقوق شعب بأكمله، حتى أن **أمريكا**، دولة الأحرار!!!، كما كتب أباء ثورتها، تقف اليوم لوحدها في خندق إسرائيل في مجلس الأمن، وهي تبني مستوطنات لا شرعية في الضفة الغربية والقدس الشرقية، مع أن **أمريكا** نفسها لا تقر بهذه المخالفات!!!!؟

وهو ما يزيد من تأجيج عواطف الشارع العربي والإسلامي ضد الحكومات الأمريكية المتعاقبة، ويجعل رجل الشارع لا يصدق ما تدعيه، خصوصاً وهي تقود حربين عبثيتين وظالمتين وخاسرتين في العراق وأفغانستان، لا تلبيان أي مطلب استراتيجي أو قومي، مع أنها من خلال وضعها الاقتصادي وما ينتظرها في القريب العاجل من مآل، كان يفترض فيها، لو كانت الكلمة حقا للشعب، أن تتصالح معهما!!!! ومع نفسها وتعيد حساباتها الخاطئة التي كبلتها في الشرق وشلت فاعليتها في سائر العالم.

لكن، وبالرغم من هذه النواقص وقلة الوعي الإسلامي، فيشفع لهاتين **الانتفاضتين**

{وعلى جهل الكثير منهم بدينهم، للتجهيل الذي مارسته هذه الأنظمة بحق شبيبتها لعقود، ومحاربتها للإسلام في السر والعلن قولا وعملا، والزج بمن يظهر غيرة على الإسلام وأهله في غيابات السجون والتنكيل بهم وبذويهم وتشريدهم}، اللتين تحكمتا فيهما حتى الآن، لغة التعقل، على لغة البطون الآيسة من كل تغيير، المؤثثة لخلفية هذا المشهد الدرامي، أنهما لم تلجئا، والخبرة بالأفكار أو التاريخ متدنية، أو منعدمة!، إلى **خرافة مؤسسة** مؤطرة حال ما كان عليه:

أ) جيل القرن الثامن عشر قبلهم في **مصر**، حين ادعى **نابليون بونابارت الأول** (1769 م – 1821 م) الإسلام، ثم **المهدوية**، مستعبطاً بعقول المصريين أثناء حملته على مصر، لإيمان العامة والخاصة بهذه **الأسطورة السمجة**، على ما تبين لنا حتى الآن من أخبارها البهرج، وحال:

ب) **الثورة الخمينية** الإيرانية في ثورتها على **الشاه**

سنة 1979 م، حيث كانت هذه **الأسطورة المؤسسة** هي

المحرك الرئيس ل **الخميني** ول أتباعه، وعلى تهافتها وبطلانها البين!!!

وهو ما يجعلني أصنف، والحجة الدامغة إلى جانبي، **الثورة الإيرانية**، شأنها شأن هذه

الانتفاضات العربية الوليدة الخارجة للتو من قمقمها ب: **ثورات الفجر الكاذب!!!!!**، إما

لمنطلقاتها **الخرافية**، أو **الاغترابية**.

نماذج من ثورات الفجر الكاذب قديما وحديثا

1) ثورة القراء على الحجاج بن يوسف الثقفي

قامت هذه الثورة التي شارك فيها القراء والمحدثون بكثافة بغية تخليص العراق من عامل الأمويين الدموي، وكادوا ينجحون في ثورتهم، لولا أن من ولوه أمر القيادة وهو عبد الرحمن بن الأشعث، كانت له أهداف ومطامع شخصية فكان سبباً في فشلها.

2) ثورة النفس الزكية على المنصور العباسي

قام بها **محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن**

علي بن أبي طالب (100 هـ ـ 145 هـ) . الذي خرج بالمدينة بعد أن

كان العباسيون يظهرون الدعوة له تحت يافطة: "الرضى من آل محمد} واخترعوا الخبر المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم ,لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مائت ظلماً وجورا}

فبالرغم من توفر ملامح الزعامة فيه من جهة قوته البدنية، وشجاعته وتقواه وزهده ومبايعة وتأييد الإمام مالك له في فتواه الشهيرة بخصوص بيعة المكره، التي حلت بيعة أهل المدينة للمنصور، ليعانقوا ثورته، إلا أنه لم يستطيع لا هو ولا أخوه: إبراهيم الخارج بالبصرة، والمؤيد بدوره من طرف الإمام أبي حنيفة، الانتصار على جيوش المنصور، لقلة الخبرة بالتنظيم والدهاء السياسي فقتلا تباعاً سنة 145 هـ.

3) **ثورة اليسار الجديد** سنة 1968 م، التي ماتت في مهدها

وفشلت ولم تترك من أثر، اللهم ما كان من الإطاحة بالرئيس الفرنسي "دوغول" المناهض للسياسة الأمريكية، والذي كانت له الجرأة على وضع حظرا على مبيعات السلاح إلى إسرائيل. وقد اتهمت المخابرات الأمريكية بكونها من أطلقت هذه الانتفاضة.

4) **ثورة الطلاب الصينيين**، التي دحرها الجيش بدبابته

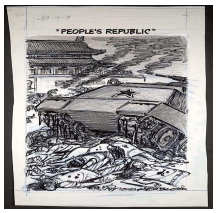

بقسوة بالغة ووحشية منقطعة النظير في "**ميدان تيانتمين**"

(tiananmen square) وغيرها كثير،.....

والأمل معقود، بعد إسقاط هذه النظم الاستبدادية، واستبدالها بنظم مدنية أكثر تمثيلية ومصداقية، وبعد أن يتمكن المسلمون من كسر قيودهم والأغلال التي ظلت تكبلهم لقرون وقرون، أن يؤوبوا إلى رشدهم ويعيدوا اكتشاف ذواتهم، ويتخلصوا من كل **الخرافات** و**الأساطير**، التي اختلقها الأفاكون وغبشت على رؤية المسلمين لواقعهم وشلت تفكيرهم، ويصبحوا حضاريين مُحضرين لأنفسهم ولغيرهم بالمعنى الإسلامي الرسالي للكلمة.

ويقع بالتالي، على كل مسلم يقرأنا، متى ترسخ الوعي بالإسلام عنده، وعلى كل مسلم ومسلمة، واجب التبليغ والدعوة، فرضاً من فروض العين، لنشر الوعي بالإسلام وبمشروعه الحضاري والأخلاقي، وبكونه جاء ليحكم المسلمين ويسوسهم بالعدل والتشاور، وليس من طرف **جاهليات غربية أو شرقية**، للأمر الرباني الملزم، الوارد في الآية 50 من سورة المائدة:

{ أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون}

فحكم أغلبية مسلمة بغير الشورى كفر بواح لا جدال فيه، يأثم المسلمون جميعا ما لم يغيروه.

ومن المسلم به، أنه لا يجوز للمسلم أن يحكم بالديمقراطية، سوى في حالة واحدة ووحيد': كونه ينتمي إلى أقلية مسلمة ضمن أغلبية تحتكم إلى هذا النظام السياسي، لاعتراف هذا النظام الضمني بالإسلام، عملا بقاعدة المعاملة بالمثل {أنظر على موقعنا: "أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام"

.

ولا شك، أن هذه الانتفاضات الحاصلة الآن أمام أعيننا والكثير من هذه الدول قاب قوسين من الإفلاس والانفلات الأمني، ما لم تحسم الأمور بسرعة على الأرض، والخيارات الاقتصادية شبه منعدمة، وآمال الناس كبيرة، وما يمكن أن يتحقق لهم على المدى القريب، حتى لو أخلص الجميع النية، زهيد على الصعيدين المادي والمعنوي، وخبرة الشباب بالشغل وخلقه شبه معدومة، مادام انعدامه هو ما كان قد دفع بأكثرهم إلى التظاهر بالأساس.

أضف إلى هذا أن الهجرة العكسية للعمال من ليبيا فرارا مما يحدث فيها إلى كل من مصر وتونس، ستزيد من الضغوط على اقتصاديهما الهشين.

وهو ظرف يتطلب عادة فرض حالة طوارئ لعلاجه من طرف حكومة ثورية مخلصة، بينما لجأت النظم العربية الفاشية والمتهالكة إلى فرضه لعقود، دون مبررات معقولة، اللهم الاستحواذ على السلطة والاغتناء على حساب الشعب، وهو ما كره للشعب سماع شيء اسمه طوارئ، ولن يقبل بتمديد العمل به ولو لطرفة عين وتحت أي مبرر كان!

فإن أنضاف إلى هذا المشهد القطري الدرامي والكارثي نذر الإفلاس المرتقب ل النظامين الماليين الأمريكي والأوروبي، اللذان يعانيان من بطالة متفاقمة، يؤججها ارتفاع في ثمن النفط والغذاء، فلا شك أن الأزمة ستتفاقم وسينفرط عقد كثير من الدول العربية لتلحق بالصومال في تفننه في التخريب والهدم، لترجع القهقرى إلى العهد الحجري، حيث الفوضى والنزقية هما سيدا الموقف!

إلا أن يرحم الله هذه الأمة، ويدرك الحكام القدماء عبثية تمسكم بالحكم وهم أعجز من أن يقوموا بمتطلباته بعد أن مكثوا في الحكم لعقود، لم تزدد فيها بلدانهم سوى فقراً وتجهيلا، انحداراً

نحو الهاوية، ويدرك المتحزبون الغوغائيون التقليديون أن للتهريج حدود، ولا يسمن ولا يغني من جوع في حلحلة الأزمة!

لكل هذا، فسيكون المخاض، وبحسب سنن الله في خلقه عسيراً، والولادة الجديدة ولادة قيصرية والمشوار طويلاً وشاقاً، والتضحيات جسيمة، والمحك قاسياً وقاسياً جداً.

وهنا يجب أن يلعب التكافل الإسلامي دوره بالكامل مضمداً للجراح، وداعياً إلى الألفة ونابذا للفرقة، وحاثا على الجماعة وحارسا على الحفاظ على مكتسبات الأمة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

انتهى وليه:

الفجر الليبي، المخاض العسير